

نقض الكاتب التركي ما أتى به بعض أرباب الاهواء وزيفه بالبرهان
السديد ثم نقل ما قاله رئيس مدرسة آئنة الكلية في تاريخه العام عند كلامه
على الاسكندرية من ان هذه المكتبة حرقت لذن وصول قيصر الى مصر
وان ما بقي من الكتب تلف قبل استيلاء المسلمين على الاسكندرية بزمن
طويل وان ما بقي من ان عمرو بن العاص حرقها ان هي الا فقرة مدخولة
بمد هذا . وقد عرب ما تقدم حياً باظهار حقيقة طال البحث فيها وتعارضت
الآراء بأمرها والحقيقة ضالة كل باحث ومستفيد

مصر

معربة عن الفرنسية

بلادها - مصر عبارة عن وادي النيل وهي في اضطرب ضيق خصيب
ممتد على ضفتي النهر بين سلسلتين من الصخور طولها ٢٤٠ فرسخاً وبكاد
عرضها لا يتجاوز خمسة فراسخ وعند منقطع الصخور تبدأ الدلتا . وهناك
سهل واسع تخله شعب النيل وترعه . فصر كما قال هيرودتس أبو التاريخ
هبة من النيل .

النيل - يزخر النيل كل سنة في الانقلاب الصيفي بصارات تلوج بلاد
الجبشة فيفيض على أراضي مصر العظيمة يرتفع ثمانية أمطار وأحياناً عشرة
فتصبح البلاد كالبحيرة وتبرز القرى المشيدة على الآكام كأنها جزيرات ثم
تخف المياح في أيلول (ستمبر) ويمود النهر في كانون الاول (ديسمبر)
الى مجراه الاصلي وقد ترك في كل مكان طبقة من الطين خصبة وهي الاء بلز
وتسمى الطمي . هذه الرواسب تقوم مقام السماد وبكاد يزرع في التربة
التدية بدون حرث . فالتيل إذا يأتي مصر بناءً والتربة وإذا تحول عنها تعود

مصر كالبلاد المحيطة بها قاعاً صفصفاً، ورمالاً مجدبة، ما أمطرتها السماء
وابلاً ولا رذاذاً . ولم يجهل المصريون فيما مضى ما يجود به النيل من
الخيرات الحسان وهالك نشيداً كانوا يندشونه تعظيماً له : «سلام عليك أيها
النيل أنت الذي تجلي على هذه الأرض وتأتي بسلام فتحي موات مصر .
أنت إذا انجلت تملأ الأرض طرباً ، والقلوب بشراً ، فينال كل مخلوق نوره ،
وكل سن ما اتقضمه ، رحماك إنك تأتي بالارزق الطيبة وتنتج كل خير
ومير وتنبث للبهائم مرعاها »

غنى هذه البلاد - مصر على التحميم واحة في قفر إفريقية تنبت
تربتها البر والفول والعدس وأنواع البقل . والنخيل فيها غابات وآجام .
وفي تلك المروج التي يرويها النيل بمائه ترعى قطبان الغنم والثيران والعنز
والاوز وتكاد مساحتها تساوي بلاد البلجيك (٢٩٤٠٠ كيلو متر مربع)
ومصر اليوم تقوم بأود ١١ مليوناً (١) من السكان وهي نسبة لا تعهد
في أوربا على ان مصر كانت أهلة بالسكان قديماً أكثر منها اليوم
روايات هيروdotس - عرف اليونان مصر أحسن من معرفتهم سائر
الممالك الشرقية فزارها هيروdotس أبو التاريخ في القرن الخامس ق . م ووصف
في تاريخه فيضان النيل واخلاق السكان وازياءهم ودينهم وذكر حوادث
من تاريخهم وحكايات لغتها من أدلته . وتكلم ديودور وسترابون على مصر
أيضاً . بيد ان كل من ذكروها رأوها في انحطاط فلم يتيسر لهم ان يعرفوا
شيئاً عن قدماء المصريين .

شامبوليون - دعت حملة الفرنسيين على مصر (١٧٩٨ - ١٨٠١) الى

فتح أبواب الديار المصرية للعلماء فبرعوا اليها يزورون الاهرام وخرائب
ثيبة عن أمم وبعودون منها وقد حفل وطلبهم بالصور والآثار . ولم يكن
لاحد ان يحل الخط المصري المسمى بالهيروغليفي . وتوهم الناس ان كل
خط من هذه الكتابة يقوم مقام كلمة حتى اذا كان عام ١٨٢١ خالفهم
شامبوليون احد علماء الفرنسيين وعمد الى طريقة أخرى وجاء أحد الضباط
من رشيد بأثر ذي خطوط ثلاثة كانت الخطوط الهيروغليفية المسيطورية بها
مترجمة الى الرومية . وهذا الأثر يمثل الملك بطليموس محاطاً بدائرة . فتوصل
شامبوليون بهذا الاسم الى الاطلاع على حروف PTOLEMAIS ولدى
مقابلتها باسماء ملوك أخر وكانت أيضاً محاطة بدائرة اكتشف حروف
الهجاء . ولما تبورت له قراءة الخطوط الهيروغليفية ظهر له انها كتبت
بلغة تشبه القبطية وهي اللغة التي شاعت بمصر على عهد الرومان وعرفت
حق معرفتها .

علماء الآثار المصرية - جاء بعد شامبوليون زمرة من العلماء توفروا
على دراسة أحوال مصر واكتشاف جباها وخفيها وتدعى هذه الفئة من
العلماء اجبتولوك أي المشتغلون بالآثار المصرية ولهم رصفاء في ممالك أوروبا
كافة . وقد أجرى مارت (١٨٢١ - ١٨٨١) من المشتغلين بالآثار المصرية
على نفقة خديوي مصر ما يقتضي من الحفريات وأحدث متحف بولاق .
وانشأت فرنسا في القاهرة مدرسة لتعليم الآثار المصرية ناطت ادارتها
بالسيوماسبرو .

الاكتشافات الحديثة - لا يعثر في بلد من بلدان الارض على خبايا
ثمينة كخبايا مصر ودقاتها لان المصريين كانوا يبنون قبورهم أشبه بنور

يضعون فيها ما يقتضي للبيت من ضروب الامتعة والاثاث والرياش والسلاح والطعام وقد غصت البلاد بالقبور الطافحة بهذه الذخائر والاعلاق . وساعد اقليم مصر الجاف الهواء على حفظ هذه الامتعة سالمة بمد مضي اربعة او خمسة آلاف سنة . فلم يترك شئ من الشعوب القديمة أراً كآثار قدماء المصريين وما عرفنا شئاً معرفتاله .

الملكمة المصرية

قدم الشعب المصري - قال كاهن مصري لهيرودتس : انتم معاشر اليونان اطفال . كلام يفهم منه ان المصريين كانوا يرون انفسهم أقدم أم العالم فقد قامت ست وعشرون سلالة ملكية الى عهد الفتح الفارسي سنة ٥٢٠ ق . م ترتقي اولها الى اربعة آلاف سنة . وكانت مصر دولة في خلال هذه الاربعين قرناً فجعلت منفيس في بلاد الصعيد عاصمتها اولاً الى عهد السلالة العاشرة (وهو دور الدولة القديمة) ثم صارت مدينة ثيبة في مصر العليا (وهو دور الدولة الحديثة)

منفيس والاهرام - بنى مدينة منفيس أول من ملك مصر وسورها بسور منيع فبقيت سالمة من بوائق الايام زهاء خمسة آلاف سنة ثم أخذ السكان أحجار انقاضها في القرن الثالث عشر وبنوا بها مساكن القاهرة وما تركوه منها أتى عليه النيل وسدل دونه حجاباً . أما الأهرام فلا تبعد كثيراً عن منفيس ويرد عهدها أيضاً الى الدور القديم وهي ثوبر ثلاثة ملوك من السلالة الرابعة وعلو اعظمها ١٤٧ متراً عمل في بنائه مئة الف عامل مدة ثلاثين سنة . وقد اقيمت سدود منحدرة قليلاً لرفع الاحجاز الى شاهق ثم خربت

التمدن المصري - يدل ما يستخرج من قبور تلك الاعصر من هياكل
 وصور وأدوات على أن هناك شعباً متمدناً . فقد عرف المصريون قبل
 ثلاثة آلاف وخمسمائة سنة للميلاد حرارة الارض ونسج الثياب وتطريق
 المعادن والنقش والرسم والخط وكانت لهم ديانة منظمة وملك وادارة . على
 حين كانت الامم النبية وهم الهنود والفرس واليهود واليونان والرومان في
 حالة من المحمية مأثورة مذكورة . .

ثيبة - خلفت ثيبة مدينة منفيس فصارت عاصمة البلاد على عهد
 السلالة الحادية عشرة ولم تزل خرائطها المدهشة في لوح الوجود وهي ممتدة
 على ضفتي النيل ومحيطها نحو اثني عشر كيلو متراً . وعلى الشاطئ الشمالي
 صف من القصور وهي لقصر والكرنك تبعد بعضها عن بعض نصف ساعة بنيت
 كلتاهما وسط الخرائب ويجمع بينهما شارع ذو صفتين من تماثيل أبي الهول وكان
 هناك قديماً أكثر من ألف أبي الهول . وأعظم هذه المآبد الخربة معبد
 عمون في الكرنك أحيط به سور يحيطه ٢٣٠٠ متر . وان طول اشهر قصر
 (ايسوستيل) وأعظمه في العالم مئة وثمان وعشرون متراً وهو حجم عمود
 فاندوم . وكانت ثيبة عاصمة ومدينة مقدسة ومقر الملوك ومسكن الكهنة
 نحو ألف وخمسمائة سنة

فرعون - يعتبر ملك مصر المعروف بفرعون ابن رب الشمس ومثاله على
 الارض ويزعمون انه كان هورباً . وقد شوهدت صورة الملك رمسيس
 الثاني جالساً بين ملكين . فالملك يتعبد انساناً ويعبد ملكاً وفرعون سلطة
 مطلقة على البشر لربوبيته فيحكم حكم المولى على كبار سادات قصره وعلى
 المقابلة ورعاياه كافة والكهنة في عبادتهم إياه يلتفون من حوله ويخرسونه

فيكون رئيسهم الكاهن الاء نطم للرب عمون المستأثر بالطول والطرل دونه
وقد يكتم باسم الملك ويخلفه في الاحايين
الرعايا يملك مصر من اعلادا الى أسفلها الملك والكهنة والجنس
والموالي وما عداهم فوصفاء يستخدمونهم في حرت الارض وعمال الملك
بلاحتونهم ويقبضون ثمار عملهم بضرب الاصي أحياناً واليك ما كتبه
أحد هؤلاء الموظفين الى صديق له : ألا تذكر حالة الفلاح الذي يحرث
الارض فان جابي الاموال يقف على الرصيف المند لجياية عشر الفلات وثلة
من العمال بمصيهم يتبعونه وزنوج ماسكون بأيديهم سعفات النخل يصرخون
بصوت واحد : البدار البدار الى تسليم الجوب . واذا لم يكن للفلاح ما يؤديه
من الفلات يتقونه على الارض ويشدون وثاقه ويجرونه في الترة رأسه
الى تحت وقدماه الى فوق

كيفية حكم مصر - كان الشعب المصري أبداً ولم يزل بعد فرحا
لايهم خاضعاً خانعاً أشبه بالطفل المستسلم الى ظالمه . وكانت العصافي هذه
البلاد أداة التربية والحكومة حتى كان أعوان الملك يقولون : (خلق
ظهر الفتى ليضرب فهو لا يمثل الأمر الا اذا ضرب) ذكر أحد سياح
الفرنسيس انه كان واقفاً ذات يوم أمام خرائب ثبة فهتف قائلاً : ليت شعري
كيف بنوا كل هذا . فاستضحك دليه وقال ماسكا يده مشيراً الى النخلة :
« بهذه بنوا هذا اجمع » اعلم يا مولاي انه اذا كرت مئة ألف سعفة من
سعف النخل على ظهر من اكتافهم عريانة أبداً تبنى قصور كثيرة ومعابد
اعتزال المصريين - فلما خرج المصريون من بلادهم لما انهم حاذروا
ركوب البحر ولذلك لم تكن لهم ملاحه وما تجروا والشعوب الاخرى ولم

تبرنت لهم بحرية الاعلى عهد الدولة السادسة والثشرين وما كانوا أمة حربية
 ولقد قاد ملوكهم الجند في حروبهم واتخذوا القتال ديدنهم فبعثوا
 البعث الى زوج الحبش تارة والى القبائل السورية أخرى فاذا غلبوا صوروا
 صورة النصر على جدران قصورهم ومتى قفلوا راجعين من غزاتهم يأتون
 بالاسارى فيستخدمونهم في بناء المعاهد على انهم ما حرزوا قط نصراً مؤزراً
 ولا فتحوا فتحاً ميبناً فدهم الاغيار مصر أكثر مما حمل المصريون على الاغيار

حسانات القرن الماضي

عن الافرنجية

تقدم في البحث السالف ما أصاب المجتمع الغربي من السيئات والمضنيات
 والآن نلم بما أتاه القرن التاسع عشر من الحانات والقومات فنقول : ان
 الثورة السياسية الاجتماعية العظيمة التي حدثت في القرن الماضي في أوروبا
 قد أثرت في تحسين القوى العقلية في الاجيال الحديثة كما أحدثت الاكتشافات
 العلمية وانتشار التعليم بين السواد الأعظم من الناس نشواً وارتقاءً في المجتمع
 الحديث وفي الافكار التي يجري عليها فتحكم فيه حكما وهما نحن نعطي
 البيان حقه من شرح النتائج الظاهرة من التربية الحديثة طبيعية كانت أو
 عقلية أو أدبية ونذكر ما أثرت في الشبان من تغيير طرق معيشتهم وأعمالهم
 وأفكارهم حتى صار من هم بعضهم ان يسيروا بالانسانية نحو الكمال وان
 كان ذلك الآن من المحال

وأعظم هذه الحادئات وأولها هي الثورة الفرنسية اذ قوضت المبادئ
 التي كانت أساساً للحضارة الأوربية مدة قرون عديدة وبهذا كانت فرنسا
 مهد الإصلاح الاجتماعي العظيم والارض التي نمت فيها ورتت تلك الافكار